

(٣٣) خطبة له ﷺ في التنبؤ

بافتح الإسلامى للشام والعراق واليمن

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قام يوماً في الناس ، فقال :

« يا أيُّها النَّاسُ .. تُوشِكُون^(١) أَنْ تكونوا أَجْنَاداً مُجَنَّدَةً : جُنْدُ الشَّامِ ، وَجُنْدُ الْعِرَاقِ ، وَجُنْدُ الْيَمَنِ ». فقال ابن حوالة : يا رسول الله .. إن أدركنى ذلك الزمان فاختر لى ، فقال ﷺ :

«إِنِّى أَخْتَارُ لَكَ الشَّامَ ، فَإِنَّهُ خَيْرُهُ الْمُسْلِمِينَ ، وَصَفْوَةُ اللَّهِ مِنْ بِلَادِهِ ، يَجْتَبِى إِلَيْهَا صَفْوَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ . فَمَنْ أَبَى فَلْيَلْحَقْ بِيَمَنِهِ ، وَلْيُسْقَ مِنْ غُدْرِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ قَدْ تَكَفَّلَ لى بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ » .

(رواه الطبرانى ، ورواه ثقات ، ورواه البزار والطبرانى أيضاً من حديث أبى الدرداء بنحوه ، بإسناد حسن) .

فى هذه الخطبة يشير الرسول ﷺ إلى مستقبل الإسلام والمسلمين ، وهو أن الإسلام سينتشر انتشاراً واسعاً فى كل مكان على وجه الأرض . وأن الفتوحات الإسلامية ستتوالى وستدق أبواب الشام ، والعراق ، واليمن .. إلخ .

(١) أى : سيقع ذلك قريباً .

وقد حدث هذا فعلاً ، فقد انتشر الإسلام ، وذاع ، وشاع ، حتى ملأ
البقاع ، كما تنبأ الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى . .

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ (١)

وكل هذا : ما كان وما تحقق إلا ببركة هؤلاء الأجناد الفضلاء الذين
باعوا أنفسهم وأموالهم لله ، فى سبيل نشر دينه والعمل على تثبيت
دعائمه .

وما كان كل هذا - كذلك - إلا لأنهم : طَلَّقُوا الدُّنْيَا ، واعتبروا
أنفسهم فيها أصحاب هدف أسمى ، وهو أن يكونوا من المجاهدين فى
سبيل الله تعالى ؛ حتى ينفوزوا بإحدى الحسنين : النصر أو الاستشهاد
فى سبيل الله . . حتى يكونوا من أهل الجنة التى تحت ظلال السيوف .
وظل الحال على هذا من نصر إلى نصر ، ومن فتح إلى فتح . . حتى
تربعت الدنيا على قلوب الكثيرين ، فشغلتهم عن الله وعن الجهاد فى
سبيله حتى كانت الحال كما هو معلوم لنا جميعاً محزنة ومؤسفة
للمغاية .

وذلك لأن أكثر البلاد الإسلامية التى كانت ترفرف عليها راية
الإسلام ، وينادى من فوق مآذنها للصلاة ، قد أصبحت الآن لا تمتُّ
إلى الإسلام والمسلمين بصلة : كبلاد الأندلس ، وغيرها من البلاد
التي فتحت على أيدي المسلمين . ومما يؤسف له أن أعداء الإسلام

(١) سورة النجم : ٣ ، ٤ .

يعملون ويخططون من أجل غزو بلاد المسلمين أو السيطرة على
أمورها ، كما يحدث الآن فى مناطق كثيرة من العالم .

وكل هذا - كما قلت - ما كان إلا بسبب حب الدنيا ، ففى الحديث
الشريف يقول الرسول ﷺ :

« مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا
بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا؛ فَتُهْلِكُكُمْ كَمَا
أَهْلَكْتَهُمْ » .

(متفق عليه)

فلنلاحظ - إن شاء الله تعالى - كل هذا ، والله أسأل أن يعيد الإسلام
إلى أمجاده ، وأن يجعل المسلمين أهلاً لهذا المجد ..

* * *